

عين المدينة

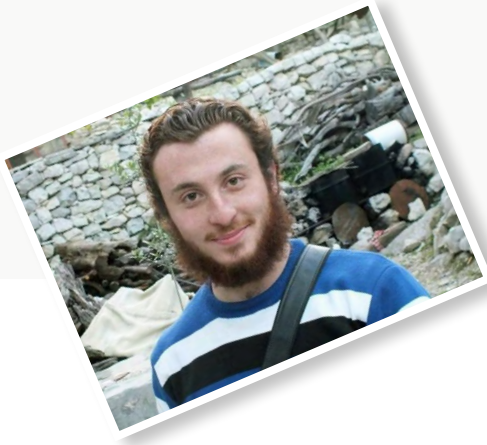
مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 52 / 1 تموز 2015



3ayn-almadina.com

facebook.com/3aynAlmadina

ريف إدلب - عدسة يزيد



المهنة... إعلامي*

نعرف جميعاً الظروف الخاصّة لإعلام الثورة السورية، إثر قيام النظام بمنع عمل الوكالات الإخبارية والقنوات المحايدة والموثوقة، واقتصار إمكانية الحصول على ترخيص بالعمل على قنوات التزييف والتغطية على جرائم هذا النظام الكثيرة. مما أدى إلى قيام العديد من الشبان والناشطين بعمليات التصوير والرفع والنشر والتغطية الإعلامية، دون سابق خبرة أو صلة بهذا الحقل. وحتى فيما بعد، إثر تلقي أكثرهم لدورات تدريبية قصيرة، لا يمكننا النظر إلى هذه الدورات المبسرة وحضورها المتعجل بعين الرضا عن مدى احترافها وسويتها المهنية.

وهذا ما لا ينكره كثيرٌ من هؤلاء «المواطنين الصحفيين» أصلاً، ممّن وعوا أن أهمية دورهم البالغة تأتي من ميدانيتهم ولصوقهم بالحدث الذي لا يستطيع الوصول إليه سواهم من المراسلين المحترفين. وللأسف، فقد شهد شهر حزيران الفائت موجةً من استشهاد عددٍ من إعلاميي الثورة هؤلاء، من بينهم من سقطوا بقصف قوات النظام عندما كانوا يغطون معارك درعا، وآخرين بقصف داعش على ريف حلب الشمالي. وأصيب عددٌ آخر بجروح مختلفة.

وسوى هؤلاء المخلصين الميدانيين المحافظين على عهد الثورة؛ تسلق الكثيرون صفة «الإعلامي» مسرعين، بحثاً عن المال والعلاقات والحضور، مما أتاحت ظروف عمل القنوات الفضائية والمنظمات الدولية، فلم تعد الثورة بالنسبة إليهم إلا مادةً للاستعراض وجزءاً من البضاعة المعروضة على بسطة بيع كل شيء... الصور ومقاطع الفيديو والشهادات والذكريات عن من استشهد من الأصدقاء أو الإخوة...

نعرف جميعاً مدى الهشاشة الأخلاقية لكثير من السوريين في عهد آل الأسد... كما نعرف أنهم لم يتغيروا كثيراً نحو الأفضل منذ ذلك الوقت، بسبب زيادة الآلام والمخاطر وانسداد الأفق... لكننا متأكدون من أن هذه الثورة مفتاح تحول أخلاقي كبير وعميم، مهما طال الزمن، وطغى على الأنفس فسادها.

* هذه الافتتاحية ذات صلة بما حصل في العدد الماضي (51) من المجلة، حين اتفقنا مع «إعلامي» على اقتناء بعض لقطاته الفوتوغرافية، واستخدمنا إحداها كصورة للغلاف الأول، لنكتشف فيما بعد أن مجلة «صور» تمتلك حق نشر هذه الصورة، بعد أن باعها لها المصور نفسه منذ شهور. نعتذر هنا من القراء ومن الزملاء في «صور» عن هذا الخطأ الذي لم نكن سببه.

11-10 جبهة النصرة والنفط (1)

13 لا للفتنة العربية الكردية

14 دراما التشبيح في رمضان

18 محمد ناصيف: آخر معالم دولة حافظ الأسد

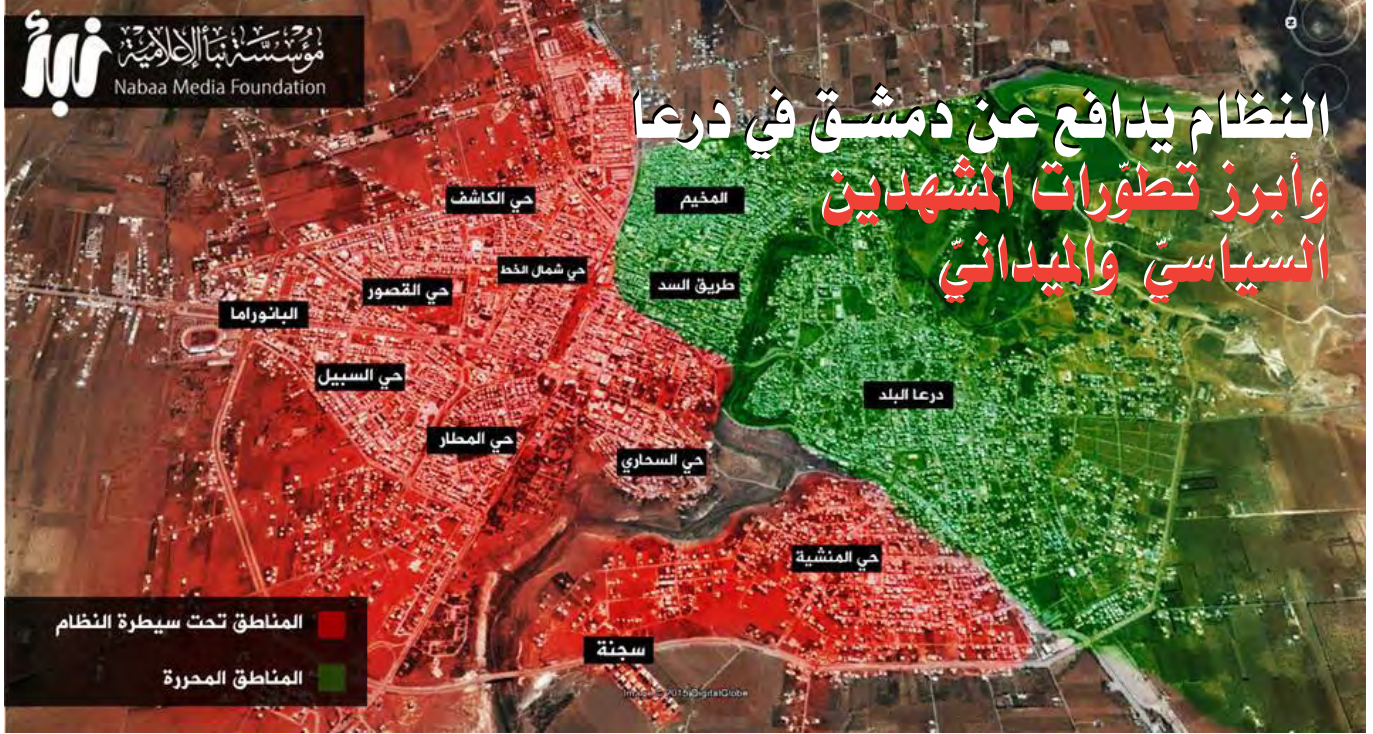
3 النظام يدافع عن دمشق في درعا

6 تجنيد الأطفال أو اختطافهم في دير الزور

7 مواطن الدرجة الأولى.. السقوط الصامت

9 شهادات من جحيم السبايا في «ولاية الخير»

النظام يدافع عن دمشق في درعا وأبرز تطورات المشهدين السياسي والميداني



هيئة التحرير

لم تشهد الساحة السورية خلال الأسبوعين الأخيرين تحولات مؤثرة على الصعيد الميداني، كما كان حاصلًا خلال الأشهر الأخيرة. إذ تبدو المواجهة الأنية هي السمة الطاغية على المشهد، بعد تأخير داعش لتقدّم الثوار في حلب واستمرار المعارك في درعا. لكن، بالمقابل، يمكن استعراض أو تسليط الضوء على محورين رئيسيين يشغلان المساحة الكبرى لدى الرأي العام والمحللين خلال الفترة الحالية لما لهما من أبعاد وتأثيرات سياسية وعسكرية.

عاصفة الجنوب

بعد أن أعلنت مجموعة من فصائل الجيش الحر بدء عملية تحرير مدينة درعا؛ كان الانطباع الإعلامي السائد أن لا تستغرق عاصفة الجنوب الكثير من الوقت حتى تنتهي بدحر النظام. لكن الأمر لم يتم بهذه الكيفية، إذ لا تزال المعارك مستمرة بعد سيطرة الفصائل الثورية على عدّة حواجز ونقاط مهمة على أطراف المدينة ومشفاها الوطني، فيما جاء ردّ النظام بتكثيف غارات البراميل المتفجرة على القرى والبلدات المحيطة، فيما يبدو أنه استماتة في الدفاع عن المدينة شبه المحاصرة. ويعدّ تحرير درعا، التي تبعد 90 كيلومتراً عن دمشق، مقدمةً عمليةً لحسم معركة حوران بالسيطرة على آخر معاقل النظام في إزرع وخربة غزالة الإستراتيجيتين، وبالتالي وصل محافظة درعا مع ريف دمشق، لتصبح العاصمة مهددة بشكل مباشر. وهذا ما يفسّر محاولات النظام منع تحقيق فصائل الجيش الحر أيّ تقدّم

لكن، بعيداً عن التأويلات القديمة الجاهزة؛ لا تبدو الصورة بهذا الوضوح، إذ إن الإدارة الأمريكية تدرك طبيعة الحال أن ملف القضية الكردية، على وجه الخصوص، يتجاوز في تعقيداته الحدود المحلية لسوريا على المستوى السياسي الإقليمي من ناحية، ويحمل فيما يحمل بعداً وخلافات اجتماعية وسياسية بين الأكراد أنفسهم وبين الأكراد والعرب من ناحية أخرى. ويبدو أن هذا ما دفع السفير الأمريكي في أنقرة إلى تبرير دعم الولايات المتحدة للقوات الكردية حين قال: «إننا ندعم كافة الفصائل التي تقاوم تنظيم داعش من الجيش الحر... ونحن نرفض أية محاولة للاستفادة من الاشتباكات في المنطقة لإحداث تغيير ديموغرافي دائم، سواء بحق السوريين العرب أو الأكراد أو التركمان...».

بكلمة أخرى، ليس سرّاً أن الدور الأميركي في سوريا لا يهدف، في هذه المرحلة، إلى إسقاط النظام قبل التأكد من القدرة على هزيمة داعش الآن أو في المستقبل القريب، وقبل طي صفحة الملف النووي الإيراني. وهذا ما يستدعي تقوية أيّ طرف يقاوم التنظيم ويحقق مكاسب ضده، إلى أن يأتي الوقت للتفكير في القضايا العالقة الأخرى بناءً على ما سيتم إنجازه فيما يخصّ النووي الإيراني.

وتشير الوقائع إلى أن التآكل المستمر لنظام الأسد وميليشياته، وعجزه عن أية مبادرة خلال الأشهر الفائتة، ليس إلا جزءاً من انتظار نتائج حلّ المشاكل الإقليمية فحسب، وإنما المشكلات الداخلية في سوريا، والتي تستدعي مزيداً من توحد السوريين ومبادرتهم.

مهما كلف الأمر، لما يعنيه ذلك من هزيمة عسكرية ومعنوية جديدة لقواته ومؤيديه من جهة، وتجنباً لوضع دمشق تحت طوق حصار قد يقلب المعادلة القائمة منذ بداية الثورة وبسرعة دراماتيكية.

وفي هذا الوقت، تردّت أنباء تفيد بوجود خلافات حول العملية، كعدم رغبة الأردن -على وجه التحديد- بتعاون الجبهة الجنوبية الممثلة للجيش الحر مع الفصائل الإسلامية في المعارك، مهدداً بوقف الدعم والمساعدات العسكرية، فيما تناقل بعض الناشطين أخباراً أخرى عن عدم مشاركة عدّة فصائل، على رأسها جبهة النصرة، بشكل فعلي في المعركة. لكن ما هو مؤكد إلى الآن أن المعركة ستستغرق المزيد من الوقت والأكلاف، نظراً لحساسية موقع المدينة والتداعيات الحتمية التي ستنتج عنها كما أسلفنا.

التقدّم الكردي والدور الأمريكي

أثار اندحار تنظيم داعش في تل أبيض وعين عيسى ولوائها، على يد الوحدات الكردية وبعض حلفائها وبدعم من طيران التحالف، الحديث مجدداً عن الانتقائية الأمريكية في التعامل مع ملف الثورة السورية، خاصّة بعدما نُقل عن مسؤولين في الإدارة الأمريكية قولهم «إن القوات الكردية تعدّ شريكاً موثوقاً به على الأرض». وأتاح ذلك للبعض الحديث عن مخطط أمريكي يهدف إلى إقامة كيان كردي في المناطق الشمالية، خاصّة بعد ما تردّد عن حملات تهجير وقعت بحق سكان قرى عربية وتركمانية في تلك المناطق.

بعد منع داعش النساء

من السفر...

طالبات يلجأن إلى التهرب لإكمال دراستهن الجامعية



حنين سليمان

أدت الإجراءات التي يتبناها تنظيم الدولة فيما يخص منع سفر النساء وتنقلهن إلى خارج المناطق التي يسيطر عليها، إضافة إلى سياساته على المستوى التعليمي؛ إلى توقف أعداد كبيرة من الفتيات عن متابعة دراستهن، وخصوصاً الدراسة الجامعية التي تتطلب السفر إما إلى الخارج أو إلى الجامعات في المحافظات الواقعة تحت سيطرة النظام.

ولم يقتصر الأمر على طلاب وطالبات الجامعة، فقد شمل أيضاً طلاب وطالبات الشهادات الإعدادية والثانوية، الذين اضطر الكثير منهم إلى السفر تهرباً بنفس الطرق السابقة، حسبما أفادت بعض أسر الطلاب، في حين أجبر العديد من الطلبة على ترك الدراسة، مثلما حدث مع طالبة الطب البشري في جامعة الفرات س.ع، التي تقول: «لدي خمسة أخوة؛ ثلاثة منهم في المرحلة الجامعية، وواحد طالب تاسع، وواحد بكالوريا. وما من معيل لعائلتي. استشهد والدي منذ عامين، ووالدتي تعمل في الخياطة. وبسبب التكلفة المادية العالية للسفر إلى مناطق النظام، والظروف المادية السيئة، أجبرت على العمل مع والدتي وترك دراستي أنا وأخوتي من أجل كسب لقمة العيش».

أدت ممارسات وضغوطات التنظيم إلى نزوح عدد كبير من العوائل إلى خارج مناطق سيطرته، من أجل دراسة أولادهم أو العلاج الطبي بحسب الإمكانيات والظروف المتوفرة. ولا يعد إصرار الأهالي على استمرار أبنائهم في التحصيل العلمي سوى فعل مقاومة لسياسات التنظيم وقوانينه المستهجنة.

طالبات الجامعة لـ«عين المدينة»: «كانت في برادات كبيرة متنقلة، وفي شاحنات نقل بضائع أو في شاحنات لنقل الأغنام والأبقار في بعض الأحيان، كي لا نضطر إلى الوقوف على حواجز التنظيم. وذلك لقاء مبلغ 18 ألف ل.س عن كل طالبة. فنصل إلى مدينة حمص، ومنها تكمل بعض الطالبات إلى العاصمة دمشق بالياص».

في حين تقول الطالبة د. م، من قسم الهندسة الكهربائية بجامعة دمشق: «أسافر مع طالبات أخريات الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، بالاتفاق مع سائق ميكرو، مقابل مبلغ 15 ألف ل.س عن كل طالبة، لنصل إلى مدينة حماة. يستغرق طريق السفر قرابة الـ10 ساعات خوفاً ومعاناة. ثم تكمل كل طالبة طريقها بمفردها؛ فبعضهن يقصدن مدينة حمص، والبعض الآخر يتجهن إلى الحسكة، أما أنا فأذهب إلى دمشق حيث كليتي». وتعليقاً على سير الرحلة ومخاطر حواجز التنظيم تضيف: «كلما مررنا بحاجز يسأل أحد عناصره السائق «من الأخوات؟»، فيجيبه قائلاً: «يا أخي هذن بنات أختي»، ثم يدفع له مبلغاً من المال. شوفير الميكرو ومشترى الطريق والحواجز. ومورايحة غير عالشعب المسكين».

لم يكتف تنظيم الدولة بإغلاق المدارس والجامعات في المناطق التي يسيطر عليها، بل زاد على ذلك جملة من القوانين التي تحد من قدرة الطلاب على متابعة دراستهن. ومن ذلك منع الطلاب، ذكوراً وإناثاً، من إكمال الدراسة بكافة مراحلها، بحجة أنها تتضمن مناهج كفريّة لا تتوافق وشريعة التنظيم، وبذلك يصبح خيار متابعة الدراسة الوحيد هو الالتحاق بجامعة الموصل التابعة للتنظيم في العراق. بالإضافة إلى منع النساء دون سن الخمسين من السفر إلى مناطق النظام إلا بموجب تقرير طبي مختوم ومصدق من اللجنة الطبية التي قام التنظيم بإنشائها، والتي تمنح إذن السفر إلى مناطق النظام بقصد العلاج بعد أن يتبين تعذر علاج المريضة التي طلبت الإذن في مشاي «الولاية».

لكن، ومع ذلك، تلجأ العديد من الطالبات في الرقة وغيرها إلى السفر تهرباً إلى مناطق سيطرة النظام، رغم معارضة له، لإكمال دراستهن في جامعات مدن دمشق وحمص والحسكة، ورغم المشقة والمخاطر الجديّة التي تحيق بالرحلة. تروي الطالبة م.ع، من قسم اللغة الإنكليزية في «جامعة البعث»، واصفةً معاناة

في الريف الغربي لدير الزور آثار غياب العمل الخيري والإغاثي تظهر في رمضان

إياد خضر

يمرّ شهر رمضان هذا العام على قرى ومناطق الريف الغربي لدير الزور في ظروف معيشية غاية في الصعوبة، يعاني فيها الأهالي أثر البطالة المستفحلة والغلاء الجنوني في الأسعار. في الوقت الذي توقّف فيه نشاط الجمعيات الإغاثية والعمل الخيري الأهلي بسبب قوانين تنظيم الدولة الذي تجوب سيارات حسبته وجبّاته الشوارع لتحرص على تطبيق تلك القوانين.

وذكر أحد سكان مدينة الكسرة أنه شاهد، منذ أيام، عجوزاً تطلب مساعدة من عنصر من عناصر داعش في أحد مطاعم القرية، فما كان ردّ الداعشي إلا أن قال لها اذهبي وسجّلي اسمك في ديوان الزكاة، لتردّ عليه بقولها «ما يمّي إيجار أروح لغادي»، ليجابها بأن يطلب منها المغادرة.

لم تشهد مناطق الريف الغربي هذه المظاهر في رمضانات الأعوام السابقة، حتى في أحلك أوقات القصف. فقد شهد الجميع على تضامن كبير بين الميسورين والفقراء. وساعد في ذلك نشاط الجمعيات الإغاثية التي كانت تقدم عوناً مقبولاً إن كان للنازحين أو لأصحاب الحاجة من الأهالي.

يقول أحد كبار العمر في الكسرة: كنا نخجل، وما ناكل ولا نشرب، لما يكون بي واحد محتاج وما نقدر نساعدو. مو بس برمضان، حتى بكل الأيام. بس هسه دونا نطعمي حالنا. وهذول -قاصداً عناصر التنظيم- المهم أنهم يشبعون، ومو فارق معاهم لا محتاجين ولا نازحين.

بما يسمّيه «ديوان الزكاة»، الذي فرض على أصحاب المصالح والأعمال تقديم الزكاة له، وعدّ أية مساعدات تقدّم بشكل مستقل للمحتاجين صدقة لا تغني عن أداء الزكاة للديوان المفترض أن يتولى وظيفة توزيعها على الفقراء والمعوزين. لكن الأمر لا يتم هكذا دائماً، بحسب أحد سكان قرية محميصة، الذي قال: «داعش يوزعون الزكاة بس على عوائل شهدائهم. أما باقي الشعب لازم يسكت ويتنعم بالأمن والأمان».

ودفع هذا الحال المتردي إلى ازدياد ظاهرة التسول. إذ يستطيع المرء في بلدات الريف الغربي، ومن ضمنها محميصة، أن يصادف في شوارعها العديد من سائلي الطريق يطوف بعضهم على المنازل يطلبون المال أو الطعام، فيما تقود فتاة صغيرة عجوزاً ضريراً يمسح الطريق خلال النهار طلباً للإحسان وسد الحاجة. وفي الوقت عينه؛ يستطيع المرء أن يلاحظ أيضاً عناصر التنظيم وهم يملأون المطاعم وقت الإفطار، بينما يقف بعض الأطفال كالقنطط على مقربة منهم، ينظرون بعين الجوع عسى أن تنال صوانيتهم الفارغة بعض الفتات.

بعد اندلاع الثورة السورية، واقتحام قوات النظام لمدينة دير الزور، وما تبع ذلك من قصف ومعارك؛ نزح الكثير من سكان المدينة إلى قرى الريف الغربي. وفي تلك المرحلة بدت مظاهر العمل الجماعي الخيري تتمثل في التضامن الأهلي لسد النقص في الحاجات الأساسية للنازحين وللأسر المحتاجة من خلال حملات جمع التبرعات المادية والعينية من الميسورين، واستقبال تبرعات المنظمات الإغاثية التي ساعدت، في مرحلة لاحقة، على تسيير قوافل الحصص الغذائية والمواد الأساسية اللازمة لتوزع على النازحين في المنازل والمدارس. وكان ذلك آخر ما أقدم عليه المكتب الخيري لقرية الكسرة، قبل أيام من دخول داعش إلى المنطقة وسيطرتها على قرى الريف الغربي، حين قام المكتب بتوزيع الحصص الغذائية التي كانت في مستودعه، بسبب معرفته لما قد يقدم التنظيم على فعله بعد اقترابه من المنطقة.

ومع سيطرته على تلك المناطق؛ أوقف تنظيم الدولة نشاطات المكاتب الخيرية وحملاتها، وحصر العمل الإغاثي



من سوق خضار في الريف الغربي لدير الزور - من إصدارات داعش



من إصدار «أشبال الخلافة في ولاية الخير»

تجنيد واختطاف الأطفال في دير الزور

■ هند عبد اللطيف

«ما عرفت ابني وقت رجعلنا... متغير كثير.. قالولي يمكن يكونون مجندينو، لأنوهاي مو أول مرة يخطفون أولاد الناس». بهذه الكلمات علقت والدة الطفل علاء، البالغ من العمر 11 عاماً، بعد الاختفاء المفاجئ لابنها، والذي دام قرابة ثلاثة أشهر، قبل أن يعود إلى منزل أهله في مدينة الميادين.

التحقوا بمعسكرات «ولاية الخير» وحدها قرابة 250 طفلاً، يشكل أبناء المهاجرين نسبة كبيرة منهم.

ويبدو أن الهدف الرئيسي من تجنيد الأطفال وتدريبهم هو إشراكهم في الجبهات التي يعاني فيها التنظيم من نقص في أعداد المقاتلين، مثلما حصل في مدينة عين العرب/ كوبياني. إذ ذكرت العديد من المصادر أن أعداد الأطفال الذين قتلوا في معارك السيطرة عليها، الذين نقلت جثثهم إلى مدينة الرقة، يفوق الـ 30 طفلاً. لكن الأمر لا ينحصر بالأدوار القتالية المباشرة، إذ بات من الشائع الآن مشاهدة الأطفال على حواجز ونقاط تفتيش التنظيم، الذي يستخدمهم أيضاً للتجسس والوشاية بالأهالي.

لا تلقى فكرة تجنيد الأطفال قبولاً لدى أهالي المناطق الخاضعة لسيطرة التنظيم، إذ يعتمد الكثير منهم إلى منع أبنائهم من الخروج والاختلاط مع أبناء المهاجرين من عناصر التنظيم على وجه الخصوص، فيما لجأ البعض الآخر إلى السفر أو إلى تفسير أبنائهم حيث أقاربهم خارج هذه المناطق، بعد توقف المدارس وبروز خطر التجنيد. وفي هذا السياق شهدت مدينة الميادين، قبل أسبوعين، حادثة اعتقال رجل رفض لإحقاق ابنه بمعسكرات التنظيم، بعد مشاركة حصلت بينه وبين أحد مسؤولي مكتب «أشبال الخلافة».

وحفظ القرآن، وأقرانهم الذين يتجمعون أثناء تطبيق أحكام التعزيز والحدود، من خلال التوّد إليهم عن طريق إقامة الخيام الدعوية وبتأثير أشرطة دعائية عن «انتصارات» التنظيم، وتقديم الهدايا من ألعاب وجوائز مالية.

بالتزامن مع ذلك، اعتمد التنظيم على تجهيز عدّة معسكرات تدريبية، عُرف منها: معسكر مدينة معدان، ومعسكر الشعيطات في دير الزور، ومدرستان في ريف الرقة ومدينة الطبقة، ومعسكر آخر في تلعفر العراقية التابعة لـ «ولاية الجزيرة» تحت اسم معهد عبد الله بن عمر. ويتم إرسال الأطفال والمراهقين إلى هذه المعسكرات بنظام المدرسة الداخلية التي تكون مسؤولة عن معيشتهم وإعدادهم. ويجري، خلال مدة المعسكر، إلحاقهم بدورة شرعية مدتها 45 يوماً يتم فيها تلقيهم نواقض الإسلام والأصول الثلاثة وفقه الجهاد وفق الرؤية الداعشية، وتقديم لهم وجبة طعام واحدة في اليوم، بقصد تعويدهم الصبر وقوة التحمل. وبعد انتهاء الدورة الشرعية، والنجاح في امتحانها؛ تبدأ الدورة العسكرية، ومدتها ثلاثة أشهر. يتدرّب فيها المنتسبون الصغار على القتال وحمل مختلف أنواع الأسلحة الخفيفة والمتوسطة واستخداماتها، فضلاً عن تصنيع القذائف والقنابل، وفق أحد العاملين في مكتب «أشبال الخلافة». وبحسب مصادر مقربة من التنظيم؛ بلغ عدد الأطفال الذين

تقول الأم: ذات يوم خرج ليلعب ورفاقه كرة القدم، ولم يعد إلى البيت. بدأ والده وأخوته البحث عنه دون جدوى. وبعد شهرين من اختفائه علمنا أنه التحق بأحد المعسكرات التدريبية التابعة لداعش، من خلال رسالة أرسلها لنا مع أحد أصدقائه من خريجي المعسكر.

ولا تعد هذه الحادثة الأولى من نوعها في المنطقة؛ فقد سُجّلت حالات عديدة لاختطاف أو التغيّر بالأطفال بقصد تجنيدهم في مناطق مختلفة من مدن وقرى ريف دير الزور. كما جرى مع طفلين من قرية الصبحة، التابعة لناحية البصيرة، إذ اختفى الطفلان، اللذان لا يتجاوزان الـ 12 من العمر، بعد ذهابهما إلى درس القرآن في مسجد القرية، ليتبين لاحقاً أنه تم تجنيدهما على يد التنظيم وفق شهادات أهالي المنطقة.

لكن، إلى جانب هذه الحوادث؛ ينتهج التنظيم سياسة تجنيد الأطفال منذ مدة. فقد سبق أن افتتح عدّة مكاتب للتجنيد تحت مسمى «أشبال الخلافة» في كل من مدينتي الميادين والبوكمال، يتم فيها استقبال الأطفال دون سن الـ 18. ويتولى مسؤولو هذه المكاتب حث الأهالي على إرسال أبنائهم للتسجيل، إضافةً إلى استقطاب الأطفال الراغبين في الالتحاق دون موافقة أولياء أمورهم. ويعتمد التنظيم إلى استمالة الأطفال الذين يرتادون المساجد للصلاة

مواطن الدرجة الأولى (5) السقوط الصامت

علي خطاب

مع احتكاك أهالي مدينة دير الزور بتنظيم الدولة بشكل عام، وبالمهاجرين بشكل خاص، سقطت الصورة المثالية التي كانوا قد رسموها عن أولئك الذين يتركون حياةً لائقةً أو ممتازةً في بلدانهم، خاصةً في الخليج العربي وأوروبا، ليتوجهوا إلى الأماكن المشتعلة «للدفاع عن المسلمين المضطهدين ورفع الحيف عنهم» (في السابق)، «واقامة شرع الله» (اليوم).

في الوقت الحالي على التنظيم للتخلص من النظام. كما يتناقل الناس باستهجان تصرفات وآراء يتمسك بها مهاجرون؛ كرفضهم تلقيح أولادهم أثناء الحملات، أو اتهامهم الأهالي بالوقوف وراء الهزائم بسبب الذنوب، ثم الدعوة إلى تحريم دراسة الرياضيات والفيزياء والكيمياء، وكذلك تناول المرتديلا والماجي وغيرها الكثير.

يدرك التنظيم سقوط الصورة المثالية لرأس الحربة لديه. وتمكن الدلالة على ذلك من خلال خطبة ألقاها أحد المهاجرين مؤخراً في جامع حرويل (المعبر) شبه الرسمي عن أفكار التنظيم في المدينة، إذ دعا الأخوة إلى «التمسك بمكارم الأخلاق في مواجهة إساءة العوام للمجاهدين الذين تركوا الغالي والنفيس». وفي المقابل، كما يرى البعض، يكرس القضاة والقادة هذا العداء في قراراتهم، كاشتراط وجود شاهد مباع في تسجيل المركبات، أو نقل الأغراض، أو إخلاء السراح المشروط.

يقول أحد معارضي التنظيم: «التعميم في إطلاق الأحكام غير صحيح، لكنه خير مؤشر على المزاج العام في دير الزور، الذي رصد نتائج اغتصاب السلطة بشكل بدت معه تلك النتائج وكأنها استمرارياً لما عاشته سوريا لعقود تحت وطأة آل الأسد».

«دولة إيه يا ولاد الجزمة؟». ولتأكد للكثيرين أن أولئك لم يتركوا حياةً رغيدة بل جاؤوا لبحثوا عنها، بعد أن تعرف الناس فيهم على بيئاتهم السابقة المهمة والمتواضعة في بلدانهم.

ويزيد أكثر من شخص استولى مهاجرون على بيته أن هؤلاء، حين يتركون البيت، يأخذون معهم الأثاث. ويعمدون، في بعض الأحيان، إلى إحراق البيت بعد خروجهم. ويؤكد هاني، وهو مقاتل سابق في الجيش الحر، خاض بعض المعارك إلى جانب مقاتلي التنظيم؛ أن حالات الهروب والاختباء أثناء المعارك كثيرة بين المهاجرين. الأمر الذي أكده مقاتلون محليون في صفوف التنظيم (مبايعون ومناصرين)، ويلمسه الأهالي وهم يشاهدون العناصر يخلون المقرات والحواجز ويختبئون بين السكان حين يخلق الطيران -التحالف خاصة- فوق المدن التي يستولون عليها. كما يلمسونه في تمسك المهاجرين بالمناصب الإدارية أو عيشهم في مناطق بعيدة عن الجبهات المشتعلة. ويفيد إعلامي مستقل في المدينة -رغم أن الأمر لا يعجبه- أن «الناس أصبحت تتلقى برضى تسمية «العملية الانتحارية»، والبعض يستخدمها. وهي التسمية التي تطلقها أغلب القنوات الإعلامية. بل ويذهب البعض إلى الاستهزاء حين تؤجل العملية فيقولون، مثلاً: «الاستشهادي مكرب». رغم أن الجميع هنا، تقريباً، يعلق أماله

وقد بدأ سقوط هذه الصورة منذ الخلاف بين جبهة النصرة وتنظيم الدولة، حين راح المهاجرون يقدحون ببعضهم على المنابر وفي الحلقات والاجتماعات العامة، ويتبادلون إطلاق صفات تحمل الإساءة من المخزون التراثي الكبير (كالخوارج والمرجئة)، وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، كما في هاشتاغ (#لا_لنضير_النساء)، إذ كتب أحدهم، مثلاً: «مصري انقضى شبابه وهو عاجز عن الاقتران بمصرية لفقره وكسله وقعوده في البيت؛ جاء إلى الشام وتزوج بأربع نساء ثم طلق اثنتين بلبلة». لكن؛ لم يكن لذلك الكثير من الصدى بين الأهالي وقتها، إما لاستعمال المهاجرين لغة قديمة في النزاع الدائر، أو لنأي الأهالي بأنفسهم عما يحدث، أو لافتراضهم وجود تهم كيدية وإشاعات ومؤامرات لتشويه السمعة. لكن الأمر لم يطل حتى اتخذوا موقفهم.

بعد السيطرة على المدينة بدأت سلسلة يبدو أنها لن تنتهي من عمليات هروب المهاجرين، دشنها أبو أحمد التونسي، حين سرق رواتب المقاتلين في دير الزور بعد قصف الطيران لقصر المحافظة القديم، الأمر الذي جرى التعطيم عليه. لكن هذا التعطيم لم ينجح في حالات أخرى، كحالة أبو عبيدة المصري، أمير الزكاة في الولاية، حين سرق أربعة ملايين دولار. لتقول الحكاية إنه قد ترك وراءه ورقة كتب عليها



اللهجة والاندماج التساءل الفراتية البحثية

توحي لهجة أهالي مدينة دير الزور بالاستعلاء (شوفة الحال)، وبأثر ما من عهد البداوة، بسبب استعمال النبرة العالية والخشنة أثناء الكلام. الأمر الذي أزعج بعض المهاجرين العرب في بداية سيطرة تنظيم الدولة على المدينة؛ فقد أكد أكثر من شخص اعتقل لديهم وقتها أن أولئك المهاجرين استعملوا الضرب لدفع المعتقلين إلى التخلي عن تلك اللهجة.

■ سمهر الخالد

التي قد يُنظر إليهم من خلالها. مما دفع ويدفع الكثيرين إلى التخلي عنها، وبالمقابل يتمسك البعض بها بعناد وإغراق. لكن جميعهم يكادون يتفقون على أنهم يفهمون جميع السوريين، لكن لا أحد يفهمهم!

أسهمت العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والنفسية، أثناء الثورة، في ظهور نزعتين لدى الديريين في هذا المجال؛ إذ لوحظ تزايد في التمسك باللهجة المحلية، بل المغرقة في محليتها، ومحاولة إحياء مفردات شبه منسية منها، الأمر الذي كُرست له مساحات في بعض البرامج على قناة دير الزور الفضائية وبعض الصفحات الثورية الساخرة على الإنترنت. وقد ظهر الاعتزاز باللهجة، والتشديد على التمسك بها، والسخرية من الذين يهجرونها، تزامناً مع محاولة تأصيل مفرداتها عن طريق ردّ الغريب منها إلى الفصحى. أما النزعة الثانية فقد كانت التخلي عن اللهجة، في معرض محاولة الاندماج في المحيط السوري الذي يراها لهجة عراقية. وكذلك تظهر السخرية لدى أصحاب هذه النزعة، لكن من المفردات الغربية للهجة ومن طبيعتها الخشنة. يثبت الواقع وجود هوة تتسع وتضيق بحسب الظروف والأشخاص بين الريف والمدينة، بالتوازي مع ظهور ما تمكن تسميته بـ«الحاراتية» في بعض الأحيان. وتصبح اللهجة واستعمالها، هنا، معياراً للانتماء والاختلاف والفرز والتعامل وفق الأحكام الجاهزة والاعتقادات الراسخة. ليبين كل ذلك إلى أي مدى فشلت سياسات الدمج الرسمية، خاصة بعد سيطرة فكرة البعثي (بدرجة أقل: العربي) مقابل الآخر «الغريب» لعقود طويلة، لتحل محلها اليوم فكرة الأخ (بدرجة أقل: المسلم) مقابل الآخر، الغريب أيضاً. ليبقى الآخر حاملاً هم الاندماج، مزيلاً ما يعتقده عثره من طريقه، حتى لو عرف أن اللغة نفسها، ومنذ وقت طويل، لم تعد تقف في وجه ذلك.

يعتز أهالي دير الزور، وخاصة كبار السن، بلهجتهم التي يرون أنها أقرب لهجة في الوطن العربي إلى العربية الفصحى. لكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة إلى الكثير من الشباب، وخصوصاً في المدينة. فمنذ وقت طويل نسبياً لم تعد تعجبهم هذه اللهجة الخشنة الغربية عن الوسط السوري، وحتى الوسط المحلي للمنطقة الشرقية. لكنهم لم يُغفلوا الإشارة إلى سلامة مخارج الحروف لديهم، وولع أهل مدينتهم بالفصحى.

تشبه لهجة المنطقة الشرقية لهجات أهالي ريف حلب وحماة ودرعا. وتنفرد لهجة أهالي مدينة الدير، وبنسبة أقل الميادين والبوكمال، باستعمال صيغ نادرة تكاد تكون متروكة. وأشهرها استعمال «فعلت» للدلالة على المتكلم، ياشباع التاء بضمّة تقترب من الواو، ما يسبب الكثير من الالتباس عند الاختلاط بالوسط السوري الذي يستعمل «فعلتو» باللفظ ذاته للدلالة على جماعة المخاطبين. وقد ظهرت أصوات في وقت سابق، وجدت في جريدة الفرات المحلية منبراً تدعو من خلاله إلى التخلي عن استعمال هذه الصيغة، التي تُزاد، على لسان الكثيرين، إلى التاء في آخرها حين تصبح «فعلتسو». كما عبرت هذه الرغبة عن ذاتها عملياً في كليات المدينة، حيث تخلى العديد من الطلبة -خاصة الطالبات- عن الكثير من الصيغ المحلية. وللخروج من مأزق الاستهجان، ادعى بعض هؤلاء أنهم من سكان دمشق، أو يتحدثون منها لجهة الأم، لتبرير استعمال اللهجة الفضفاضة (البيضاء) القريبة من لهجة الشوام، والتي ساعد على انتشارها ورواجها استخدامها في المسلسلات والبرامج التلفزيونية. كان لاختلاط أهالي المنطقة الشرقية عامة، ودير الزور خاصة، بأهالي المناطق السورية الأخرى (في الخدمة الإلزامية والدراسة، وبدرجة أقل التجارة والعمل والمصاهرة والسياحة) أن بين لهم الالتباس الحاصل من استعمال لهجتهم، أو الغين والاستغلال الذي قد يقعون ضحيته، أو النظرة الدونية والمبتسرة

بين الهروب والانتحار شهادات عن جحيم حياة "السبايا" في "ولاية الخير"

■ مي محمود

طلقت واحدة من مئتين كاتم للصوت كانت كفيفةً بإنهاء حياة شيفين، «السبيّة» الإيزيدية في إحدى قرى الريف الشرقي لدير الزور، بعد أن أقدمت، لمرةٍ عديدة، على محاولاتٍ فاشلةٍ للانتحار. إلى أن استطاعت الحصول على المسدس بعد مغافلة أم دلامة، صاحبة المنزل الذي شهد انتحار الفتاة ذات العشرين عاماً.



بالإضافة إلى أربع زوجات، لدى أبو عتبة العراقي أحد قادة التنظيم العسكريين، وكذلك الحال مع أبو رحمة العراقي، الذي يمتلك شقتين خصّص إحداهما لزوجاته الثلاث فيما تسكن السبايا في الشقة الأخرى.

وكان التنظيم قد

أعلن في وقتٍ سابقٍ، في مدينة الشداي التابعة لمحافظة الحسكة، عن مسابقةٍ لحفظ سورٍ محدّدة من القرآن الكريم خلال شهر رمضان، تقدّم

فيها السبايا كجوائز للفائزين الثلاثة الأوائل، في حين يمنح باقي الفائزين العشرة مبالغ تتراوح من 50 ليرة سورية. ولهذه الغاية

تم جلب عددٍ من السبايا

الإيزيديات إلى مدينة الشداي من مدينة الموصل معقل التنظيم. أما منذ قرابة الأسبوعين فقد تمّ نقل قرابة الـ 40 سبيّة كمن يقمن في المدينة السكنية لحقل العمر النفطّي ليلاً إلى مدينة الميادين، حيث تم احتجازهنّ وتشديد الحراسة عليهنّ، فيما يُظن أنه تمهيدٌ لتوزيعهنّ على بعض قادة وعناصر التنظيم في المنطقة. وقد سبق أن قام التنظيم بتوزيع ما يقارب 300 فتاةٍ وسيّدة إيزيدية على عناصره في سوريا، جلهنّ ممن تمّ اختطافهنّ في شمالي العراق في وقتٍ سابقٍ.

ورغم صعوبة العملية، سبق أن

كانت شيفين قد وصلت إلى منزل أبو دلامة التونسي، أحد مسؤولي الدورات الشرعية في المنطقة، كأعطيةٍ من «والي ولاية الخير»، مكافأة له على جهوده، ليقوم أبو دلامة بدعوتها إلى الدين الإسلامي «فاستجابت»، لتصبح بذلك زوجته الثانية. لكنها أقدمت على الانتحار بعد شهرين من إقامتها في منزله، لتغسل وتكفن ويصلى على جثمانها وتدفن في مقبرة القرية، حسب روايات أهالي المنطقة.

لا يعدّ انتحار شيفين الحادثة الأولى التي شهدتها «الولاية» مؤخراً، ففي مدينة الميادين أقدمت «سبيّة» أخرى، قيل إنها من منطقة كسب وتبلغ من العمر ثلاثين عاماً، على الانتحار بقطع وريدها بسكين مطبخ، بعد أن قدّمت هي الأخرى كهديةٍ لأحد القادة العسكريين في التنظيم كمكافأة، ليقوم لاحقاً ببيعها بمبلغ 1000 دولار لأحد عناصر التنظيم، يدعى أبو أسامة الليبي، الذي سجنها في غرفةٍ لمدةٍ ثلاثة أشهر بعد أن حاولت الهروب لمرةٍ عديدة، لتتقدم في النهاية على الانتحار.

ينظر تنظيم داعش إلى «السبايا» كجزءٍ من غنائم الحرب، توزع من قبل الولاة على العناصر كأعطياتٍ وهدايا، ويحقّ لملكها التصرفّ إما بتركها على وضعها كسبيّةٍ أو بدعوتها إلى الإسلام والزواج منها بشكلٍ شرعيٍّ أو بيعها بالسعر الذي يريد لأحد عناصر داعش حصراً. وبحسب مصادرٍ مقرّبةٍ من التنظيم يتراوح «سعر السبيّة» بين 500 إلى 2000 دولار، تبعاً لعمرها وجمالها. وبعد قادة التنظيم العسكريين الأكثر ميلاً إلى الاحتفاظ بالسبايا، وشوهدت لديهم حالات تعدّد سبايا مترافقةٍ مع تعدّد للزوجات. فقد أفادت رواياتٍ شهودٍ في إحدى القرى الريف الشرقي لدير الزور عن وجود ثلاثة سبايا،

نجحت

محاولات هروب

بعض هؤلاء الأسيرات. إذ شهدت المدينة السكنية لحقل العمر، في وقتٍ سابقٍ، هروب ثلاث إيزيدياتٍ من منزل أحد قياديي التنظيم، بمساعدة أحد عناصر التنظيم ذاته، والذي قام بتفريجهنّ من سور المدينة، وفق ما أفاد به السكان.

أوردت بعض وسائل الإعلام

أخباراً غير صحيحةٍ عن وجود سوقٍ لبيع السبايا في مدينة الميادين. لكن، هل يلزم

وجود سوقٍ لتصوير حجم المأساة؟

من سيرة نبط دير الزور بعد الثورة جبهة النصره والنفط (1)

(مادة مأخوذة من دراسة عن النفط في المحافظة، منذ خروجه ومنشأته عن سيطرة النظام وحتى الآن. أعدّها فريق من الباحثين. وتصدر قريباً عن «عين المدينة»)



الحصص الأولى لجبهة النصره من النفط

الثروة. إلا أن أسلوب النصره في إدارة واستثمار هذه «الحصّة» حقق لها مكاسب معنوية شديدة الأهمية. فخلال سيطرتها على محطة تعبئة الغاز المنزلي، كانت أرباح جبهة النصره من بيع وتوزيع ألفي أسطوانة غاز يومياً، هي متوسط إنتاج المحطة في ذلك الوقت، بين 400-600 ألف ل. س، أي في حدود 4000-6000 دولار أمريكي يومياً، بحسب سعر الصرف آنذاك. إذ كانت الجبهة تبيع الأسطوانة الواحدة بـ500 ل. س وسطياً (5 دولارات أمريكية). وهو رقم زهيد، كان يمكن لها أن تضاعفه، إلا أنها أرادت الاستثمار بطريقة دعائية تظهرها بمظهر المشفق على أحوال السكان المتردية، لتجذب الرأي العام إليها، في ظل حالة غضب عامّة من فوضى النفط وسوء توزيع موارده. كما نجحت النصره، من خلال توزيع الغاز، في لباس ثوب الأهمية لمجموعات صغيرة وهامشية تتبع لها، يالزام مندوبي القرى والبلدات القادمين إلى محطة التعبئة بالحصول على أذن أمراء هذه المجموعات في كل قرية وبلدة. مما زاد من حضور النصره في الحياة اليومية والعامّة للسكان.

خلال الربع الأوّل من عام 2013، اكتملت خارطة السيطرة على آبار ومنشآت النفط والغاز في المحافظة، دون أن يكون لجبهة النصره نصيب سوى محطة تعبئة الغاز المنزلي، التي كانت قد استولت عليها منتصف العام الفائت، ونسبة النصف من عائدات ثلاثة آبار للنفط في بادية البوكمال، كان قد استولى عليها لواء عمر المختار، قبل أن يطلب من جبهة النصره في مدينة البوكمال أن تكون شريكة له فيها، دفعا لتهمة الاستئثار بالموارد. بالإضافة الى حصص صغيرة ومؤقتة كانت الجبهة تنجح في حيازتها من بعض الآبار، بعد تدخلها لحل شجارات دامية بين المستولين عليها في معظم الحالات.

تدلّ الحصّة الضئيلة لجبهة النصره، بالمقارنة مع حجم الثروة النفطية في دير الزور، على درجة قوتها وحجمها، آنذاك، أمام القوى المختلفة التي استحوذت على الحصّة الأكبر من هذه

بدايات الهيئة الشرعية في المنطقة الشرقية



أطلق وصف «الشركية» على هيئة جبهة النصر، وأسس «محكمة إسلامية» كمرجع قضائي وحيد يجب على من له شكوى على «الدولة» أن يعرضها عليه.

وحيث استقرّ الجسم التنظيمي لجبهة النصر إثر حادثة الانفصال، انطلقت الهيئة الشرعية انطلاقاً الثانية، مستفيدة من جهود طبيب شاب خارج حديثاً من المعتقل، بعد سنوات في سجن سيدنايا الشهير، هو مظهر الويس، الذي ترأس الهيئة الشرعية في أول الشهر السادس من عام 2013، وأعاد تنظيم العمل في مكاتبها التي لم تنجز، قبل ترؤسه لها، أعمالاً بارزة.

بعد ذلك، وفي ما يخص النفط، تحاشت الهيئة الشرعية الاصطدام المباشر بالمستولين على الآبار، لكنها حاولت الحد من آثار التلوث الناجمة عن ظاهرة التكرير العشوائي والبدائي للنفط الخام. فأصدرت عدّة قرارات بهذا الخصوص، كان بينها إنذار لورشات الحدادة بالتوقف عن تصنيع مصاليف النفط، أو ما يعرف بـ«الحرّاقات»، وتهديدهم بالمحاسبة في حال عدم استجابتهم. وقرار آخر يلزم كل سيارة تنقل النفط بدفع مبلغ مالي عند انتقالها من منطقة الجزيرة - حيث تتركز آبار النفط الكبرى - إلى الشامية، وعبر جسر العشارة والميادين. وكذلك حاولت الهيئة إبعاد تجمعات التكرير الرئيسية مسافةً عن المدن والبلدات والقرى.

في الشهر التاسع من عام 2013، وقبل إطلاق برنامج السيطرة على مواقع النفط، انضمت حركة أحرار الشام الإسلامية إلى الهيئة الشرعية، التي تحول اسمها، بعد هذه الانضمام، إلى «الهيئة الشرعية المركزية». وصدر ميثاق موسّع جديد لهذه الهيئة، شدد في مقدمته على تلازم المسارين في معركتي التحرير والبناء، تجنباً لنتائج «حاضرة ومستقبلية غير مرغوب بها. وما تجربة الاستقلال من المحتلين في مطلع القرن عنا ببعيد، حيث جاهد المسلمون وقطف العلمانيون الثمرة».

بالتسامح مع غياب الدقة في تناول الأحداث التاريخية، والاستطراد غير اللازم بحشد قدر فائض من النقول الفقهيّة التراثية، التي توجب على أهل كل بلد «أن ينصّبوا من أهل العلم والرأي من يدير شؤونهم»، بدأ الميثاق طموحاً في الأهداف التي حددها للهيئة، وذراعياً في مغالته «للعشائر العربية المسلمة في حوض الفرات لكي تقوم بدورها التاريخي المعروف»، فهي التي «طردت الفرنسيين أوائل القرن الماضي». وهو غزل لن يثمر كثيراً في محاولاتها السيطرة على نفط المحافظة، وهو أحد أهم الدوافع وراء تشكيل الهيئة الشرعية المركزية، رغم تحديد التعاظمي في شؤون النفط بمجرد مكتب فرعي يتبع لدائرة الخدمات، التي تُولف، إلى جانب 12 مكتباً وهيئةً وجسماً آخرين، البنية التنظيمية للهيئة الشرعية، بحسب ما ذكر الميثاق².

أضافت حركة أحرار الشام، ثم جيش الإسلام - حديث التشكل في المحافظة آنذاك - بعد انضمامه إلى الهيئة في منتصف الشهر 11 من عام 2013 مواقع نفط جديدة إلى دائرة سيطرتها. فقد كانت الحركة تسيطر على حصّة رئيسية من آبار محطة الخراطة في الريف الغربي لدير الزور، فيما يحوز جيش الإسلام على حصص ضئيلة وغير ثابتة من مواقع مختلفة.

بخلاف ما تردد حول نية مبطنّة للنصرة بإعلان إمارة في دير الزور، كان للجبهة مشروع آخر، وهو تأسيس هيئة شرعية تابعة لها، تقود من خلالها الأنشطة العسكرية والمدنية المختلفة. وهو المشروع الذي بدأت تنفيذه في محافظات أخرى، وجاءت هيئة دير الزور في سياقها، فأعلن عن تأسيس الهيئة الشرعية في المنطقة الشرقية يوم 9/3/2013. وضمت وقتها كلا من جبهة النصر؛ لواء مؤتة؛ لواء الإخلاص؛ لواء القعقاع الإسلامي؛ لواء ابن القيم؛ لواء رجال الله؛ كتيبة بيارق النصر؛ كتيبة الرحبة، كفصائل عسكرية تتبع للهيئة وتشكل قوتها التنفيذية. وحدد البيان الأول للهيئة وظيفتها الرئيسية بـ«تسيير شؤون الناس وملء الفراغ الأمني وحل قضايا الناس العالقة». ولم يظهر بين المكاتب الستة، التي اعتبرها البيان وسيلة الهيئة لتحقيق أهدافها، مكتب للنفط، رغم أن جبهة النصر في البوكمال تستحوذ على حصص من آبار، وكذلك تسيطر ثلاثاً من الفصائل المنضوية تحت مظلة الهيئة على آبار هامّة. بعد شهر تقريباً من تأسيس الهيئة الشرعية، حدث تطور كبير عصف بجبهة النصر وشل هيئتها المشكّلة، إذ أعلن عن ولادة «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، لينتقل، على الفور، كثير من مقاتلي الجبهة إلى الجسم الوليد، انتقالاً لا يمكن وصفه في الأيام الأولى بأنه انشقاق، إذ اعتبر، بالنسبة إلى معظم المنتقلين، تطوراً طبيعياً ونمواً للفرع نحو الأصل. فيما وقع الباقون من أعضاء النصر في حيرة من أمرهم بانتظار الكلمة الفصل من زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري، إلى أن جاءت بإلغاء المسمى الجديد وقبول بيعته النصر. إذ لم يكن كافياً إعلان الجولاني أن جبهة النصر هي الفرع السوري لتنظيم القاعدة، وهي التي نشأت من رحم «الدولة الإسلامية في العراق»، قبل أن يبت الظواهري في الأمر ويعود معظم المنتقلين إلى «الدولة» - في دير الزور على وجه التحديد - إلى فضيلهم الأساس، دون مساءلة تنظيمية. فيما ثبت عامر الرفدان، الذي كان أحد أبرز قادة النصر، ومعه كتلة وازنة من المهاجرين، وعشرات من أبناء المحافظة، في انتقالهم الذي أضحى انفصلاً كاملاً. ولتنتقل بذلك محطة تعبئة الغاز المنزلي، التي كان يديرها الرفدان، في ما انتقل من الممتلكات العينية، إلى الكيان الوليد. الذي ما لبث أن

1 - المكاتب هي: الإصلاح وفض النزاعات؛ الدعوة والإرشاد؛ الفتوى؛ القوة التنفيذية؛ الهيئة الخدمية؛ اللجنة الإغاثية.

2 - تألفت البنية التنظيمية للهيئة الشرعية المركزية مما يلي: المكتب القضائي؛ مكتب الدعوة والإرشاد؛ المكتب الشرعي؛ مكتب التعليم والدورات الشرعية؛ مكتب الرقبة الشرعية؛ دائرة الخدمات؛ المكتب الإعلامي؛ المكتب المالي؛ القوة التنفيذية؛ المكتب العسكري؛ الديوان العام؛ مكتب العلاقات العامة؛ اللجنة النسائية.

محلل اقتصادي: طرح عملة

جديدة ينذر بانهيار المنظومة

الاقتصادية لسورية

في حين انشغل الكثيرون بالتعبير عن مواقفهم المختلفة من طرح العملة النقدية الجديدة، التي رأى فيها البعض «نيلاً» من هيبة الدولة، بعد أن أصبح أهل دوما غير مضطرين إلى حمل صورة القائد المؤسس، وأبدى آخرون سعادتهم لأن هذه العملة الجديدة لا تحمل صورة أي حيوان باستثناء النسر؛ فإن طرفاً ثالثاً لم يظهر صوته على شبكات التواصل الاجتماعي، التي ضجّت بالطرفين السابقين، تمكّنت «عين المدينة» من رصد من خلال جولته على بعض الأسواق الرئيسية في دمشق لمعرفة مدى هذا الموضوع بعيداً عن العالم الافتراضي.

ففي سوق مدحت باشا عبر أبو سليم عن الموضوع بشكل براغماتي حين قال: «ما الفائدة إذا تمّ تبديل الصورة وسعر صرف الدولار لا زال يواصل الارتفاع؟». ووافقه المحلل الاقتصادي نعيم بدوي، الذي أكد أن الموضوع ليس كما يروج له المصرف المركزي من أن العملة الجديدة ستحل محل الأوراق النقدية المتهاككة التي يتم سحبها من الأسواق (70 مليار ليرة)، فهذا الكلام لا ينطلي على الأطفال». وأكد بدوي أن حالة السوق وتراجع القدرة الشرائية للعملة المحلية، تزامنا مع طرح الأوراق النقدية الجديدة، مع تسريبات بطرح ورقة نقدية من فئة ألفي ليرة، كلها مؤشرات توحى بأن انهيار المنظومة الاقتصادية للنظام لم تكن أقرب مما هي عليه الآن. والناس سيدفعون الثمن..



موالو النظام يصبّون جام حقدهم على أديب ميالة

علي يونس - دمشق

طُرحت العملة الجديدة من فئة الألف ليرة من دون صورة حافظ الأسد كسابقها، بل بتصميم جديد يتضمّن مدرج مدينة بصرى الشام الأثرية الخاضعة لسيطرة الجيش الحرّ.

قنوات النظام تحت هاشتاغ #هزلت بالقول: «سورية تتعرّض لحرب ممنهجة بهدف تدمير تاريخها، آخر فصولها إزالة صورة القائد المؤسس الراحل حافظ الأسد عن العملة التي أطلقها بنك سورية المركزي حديثاً». وتابع المذيع: «وأول جملة تحدثوا بها على تنسيقياتهم بعد مشاهدة الألف ليرة الجديدة هي: «شالوا صورته وريحونا». وكتب وزير سابق على صفحته الخاصة على فيسبوك: «وتبقى إشارات التعجب والاستفهام حول من صمّم هذه الورقة ومن وافق عليها، أتمنى أن لا تصدر اليوم ووضعها ضمن المعالجة وإعادة التفكير. للأسف كل الدول بتخلد ذكرى رموزها الوطنية ويتحیی ذكراهن إلا نحنا منظمس كل دليل لرمزنا ومؤسس وباني دولتنا للأسف» #زهرانيات_حكومية، يختم الوزير السابق.

والغريب في موضوع العملة ذاتها أنها تحوي على خطأ تاريخي؛ إذ على وجهها الخلفي تمّت طباعة لوحة فسيفساء تشير الكتابة فوقها إلى أنها «موزاييك السويداء»، والصحيح أن هذه اللوحة تمثل مشهد قطاف العنب. وقد تمّ العثور عليها في قرية دير العدس التابعة في محافظة درعا. وهي تعود إلى عام 227 ميلادية. وقد كانت محفوظة ضمن قلعة بصرى. وكانت حكومة الأسد قد طرحت العام الفائت عملة من فئة الـ 500 ليرة، الأمر الذي أثار مخاوف من أن يؤدي طرح أوراق نقدية جديدة في الأسواق إلى مزيد من التضخم وارتفاع في الأسعار.

ما إن طرح مصرف سورية المركزي الورقة النقدية الجديدة حتى انهال الموالون بالهجوم على حاكم المصرف أديب ميالة، الذي طالما تغنوا بحكمته وأدائه «المهر» في الوقوف في وجه الهجمة الصهيونية ضد الليرة.

وتحت شعار «اللي ما الوقديم ما الجديد.. والتوقيت هذا غلط لتغيير الألف القديمة واستبدالها بـ ألف أصبحنا بسببها مصدر سخريّة من المعارص»، أطلق ناشطون صفحة على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، استنكاراً لتصميم الألف ليرة الجديدة.

وبلغت درجة غضب وجهل تلك القطعان حدّ تشبيه رئيسهم السابق بالملكة زنوبيا، إذ كتب أحدهم: «حضارات الشرق والغرب.. الملكة زنوبيا الملكة السورية التي أذهلت شعوب العالم منذ عام 272 حتى وقتنا الحاضر تمّت إزالة صورتها عن العملة السورية فئة 500 ل. س بدون إبداء الأسباب!!!! والآن أزالوا أهم رمز لتاريخ سوريا الحديث الرئيس المرحوم حافظ الأسد!!!! عملية دعوشة ممنهجة على مراحل تبدأ بضرب الرموز ولا تنتهي بتدمير الآثار والذاكرة الجمعية... أعداء الوطن ليسوا فقط داعش والنصرة ومن نراهم يذبّحون ويقطعون الرؤوس بل هنالك أيضاً داعش ببدلات رسمية. من اتخذ قرار مسح التاريخ سيذهب في النهاية إلى مزابيل التاريخ.. وطن بلا رموز هو وطن زهايمر سيكون بلا حاضر وبالتالي بلا مستقبل». وغرّد أحد مذيعي



لا للفتنة العربية - الكردية



بکر صدقي

هناك أسئلة عالقة بصدد معركة تل أبيض وما تلاها من تداعيات، منها:

لماذا سلّمت داعش تل أبيض والريف المحيط بها بلا قتال تقريباً؟ كيف تسلل مقاتلو داعش إلى عين العرب / كوباني المدمرة ونفذوا فيها مجزرتهم الرهيبة التي بلغ عدد ضحاياها رقماً مرعباً تجاوز الـ 300 قتيل، فضلاً عن الجرحى؟

كيف تمّ السكوت على تقدّم قوّات «وحدات حماية الشعب» المعززة بفصائل من الجيش الحرّ حتى دخولها تل أبيض، طوال أشهر، لتبدأ بعدها، فجأة، حملةً صاخبةً بصدد «تطهير عرقي» مزعوم في حقّ السكان العرب والتركمان؟

لماذا قرّرت داعش، فجأة، ترحيل جميع السكان الكرد من مدينة الرقة، مع أن المنظمة الإرهابية تسيطر عليها منذ نحو عام ونصف؟

مع بقاء هذه الأسئلة يلغها الغموض، يبقى أن جهات ما، صاحبة مصلحة، نجحت في إطلاق حملة كراهية متبادلة عربية- كردية، على كلّ وطني حريص أن يعمل على وقفها عند حدود التخريب الذي حدث في النفوس والنسيج الاجتماعي المتداخل في تلك المنطقة، على أمل ترميمه بأسرع وقت وأقلّ الأضرار. ليس الوقت وقت تحديد المسؤوليات أو محاسبة المسؤولين عن التخريب المذكور، فقد ساهم كثيرون، للأسف، وبعضهم من منافيهم البعيدة حيث لا يعرفون ما يحدث، في صبّ الزيت على نار فتنة مرعبة. هناك اليوم مشكلة بحاجة إلى حلّ، وهذا الحلّ ممكنٌ بصفاء النوايا والعمل المخلص.

بداية أيّ حلّ تكون بوقف الاتهامات والتحريض المسموم، والبناء على واقعة لا يختلف حولها اثنان هي تحرير تل أبيض وريفها، وصولاً إلى عين عيسى، من الاحتلال الداعشي. فداعش

عربية. رائزه في هذا التمدّد هو التناغم مع الأجندة الأميركية الذي يعوّمه دولياً، بعد عقود من اعتبار حزب العمال الكردستاني منظمة إرهابية في المحافل الدولية.

ويلاحظ، في السلوك السياسي للاتحاد الديمقراطي، تنوّع يتراوح بين التعايش والتنسيق مع النظام في مناطق (الجزيرة) والتحالف مع الجيش الحرّ في مناطق أخرى، وهو عضو في «هيئة التنسيق» جنباً إلى جنب مع حزب قوميّ عربيّ كالاتحاد الاشتراكيّ. وفي صراع دائم مع أحزاب «المجلس الوطنيّ الكرديّ» المنضوية في «الائتلاف الوطنيّ» المعارض، وتطالب علناً بنظام فيدراليّ، بوصلة حزب الاتحاد الديمقراطي الثابتة هي زعيمه الأسير في جزيرة إيمرالي عبد الله أوجالان، وقيادة حزب العمال الكردستاني في جبل قنديل. كل ما عدا ذلك قابل للتغيير لدى هذا الحزب البراغماتيّ.

على أيّ حال، نحن اليوم أمام واقع جديد يتمثل في سيطرة وحدات حماية الشعب، مع الفصائل الحليفة، على تل أبيض. ونظراً للاتهامات التي يواجهها الحزب، بات عليه أن يثبت بطلان تلك الاتهامات بصورة عملية. أي أن يفي بوعوده بتسليم المدينة لإدارة مدنية ينتخبها السكان وتمثل فيها مختلف المكونات المحلية من عرب وكرد وتركمان وغيرهم. بحيث تتموضع القوّات المسلحة خارج المدينة. وقبل الوصول إلى هذه الترتيبات التي قد تحتاج إلى بعض الوقت، إلى حين عودة النازحين إلى بيوتهم، يجب العمل بجديّة لدخول منظمات محايدة لمراقبة الانتهاكات المحتملة في حقّ السكان، سواء من الأمم المتحدة أو المنظمات الدولية المستقلة المعنية بحقوق الإنسان. فهذا مما يساهم في واد الفتنة وتطبيع الحياة العامة في مرحلة ما بعد داعش.

لا خيار أمام سكان هذه المناطق المتداخلة عرقياً إلا التعايش.

هي «دولة حرب» على الجميع. نظام دمشق الكيماويّ الذي يمكن أن يشكل مصدر خلاف، غير موجود في المنطقة. داعش هي العدو المشترك الذي من المفترض أن تتحالف ضده جميع القوى الفاعلة على الأرض. نموذج «القوّات المشتركة» المكوّنة من وحدات حماية الشعب الكردية والفصائل المتحالفة معها من الجيش الحرّ، يمكن البناء عليه والتوسع به. وهذا يتيح الاستفادة من المظلة الجوية التي يوفرها التحالف الدوليّ بقيادة الولايات المتحدة، ليس لمصلحة القوّات الكردية وحدها كما حدث في معركة كوباني، بل أيضاً لمصلحة جميع القوى المتحالفة في الحرب على داعش.

ليس سرّاً أن الحكومة التركية لديها همومها المختلفة وأجندتها المختلفة، وخلافاتها مع الأميركيين في الشأن السوريّ باتت معروفةً للقاصي والداني، وهي مستاءة من هذا التناغم بين التحالف الدوليّ والقوات الكردية لأسبابها الداخلية. ولكن ما هي مصلحة السوريين في خلق تناقضات وطنية داخلية لا تجلب عليهم إلا مزيداً من المآسي؟ تساق ذرائع بصدد نوايا مبيتة لدى حزب الاتحاد الديمقراطي بشأن السيطرة على كامل الشريط المحاذي للحدود مع تركيا والقيام بتغييرات ديموغرافية في المنطقة غايتها إقامة كيان كرديّ مستقل. لنلاحظ أن الحديث يدور عن نوايا وليس عن شيء مؤكّد ومعلن. في حين أن حزب الاتحاد الديمقراطي يعلن في كل مناسبة عن تمسكه بوحدة الكيان السوري. وفي الواقع مضى على إعلان «الإدارة الذاتية» في المناطق التي تسيطر عليها قوّاته أكثر من عام ونصف، وبقيت طموحاته السلطوية محصورة بتلك المناطق، فمارس دكتاتوريته على السكان الكرد ممن يخلضون معه. ولولا تحالف فصائل من الجيش الحرّ (عربية) معه، لما وجد الغطاء الشرعيّ لتمدده في مناطق ذات غالبية



نظرة على دراما التشبيح في رمضان

■ محمد قاسم

بات من المعتاد، في كل رمضان، أن يصادف هوة المسلسلات عدّة أعمال تلفزيونية، ينتجها ويدعمها النظام وأذرعها الإعلامية، تتحدّث، بشكل أو بآخر، عن الأوضاع الحالية في البلاد وفق رؤية الخطاب الإعلامي للنظام. ما أفرز في النهاية ما تمكن تسميته بدراما التشبيح، التي لها خصائص ومقومات بنيوية وفنية تعتمد وتقوم عليها.

كواد العمل التشبيحي

لا حاجة إلى الاستنتاج أن معظم المسلسلات الرمضانية السورية التي تبيّت الآن يتصدّر بطولتها ممثلون أعلنوا لمرةٍ عديدةٍ ولاهم لبشار ونظامه، وظالبوا على الشاشات بسحق الثورة، ومنهم من وقف علناً بالسلاح على حواجز الأمن وتحت بساطير الجيش التي اعتادوا أن يقبلوا. وتندرج ضمن هذه القائمة أسماءٌ يحتفي بها النظام كـ«نجوم»، من أمثال سلاف فواخرجي وسوزان نجم الدين وغسان مسعود وغيرهم. لكن هذه الأعمال ساعدت، أيضاً، العديد من الأسماء الهاوية التي تسعى إلى صناعة مجدٍ شخصي في فضاء التشبيح والدعم السائد، دون أن تكون لها علاقة مباشرة بهذا المجال سابقاً. لم يقتصر هذا الأمر على الممثلين فحسب، وإنما شمل أسماءً لمخرجين وكتاب سيناريو لم يعرفوا من قبل، يعيّنون مواقف الآن على الشاشات. بهذه الطريقة كتب صحفيو الوسط الفني المغمورون مسلسل «عناية مشددة»، ليخرجه أحمد إبراهيم أحمد، شقيق مذيع النظام الشهير جعفر أحمد. لكن، لنكن منصفين، لا تكفي الأسماء وحدها لمحاكمة جودة العمل. فبنظرة سريعة على حبكة «عناية

مشددة» يكفي للمشاهد أن يرى أيمن رضا بدور «المعارض الوطني الشريف»، وهو يلقي محاضرة في وجه خاطفيه المتطرفين -يرتدون اللباس الأسود بالطبع- الذين يخيرونه بين القتل أو التعاون معهم، ليخرج غاضباً من مكان احتجازه وكأنه خارج من باب مقهى، تاركاً وقع كلماته «الوطنية» لدى أعدائه، لياأيه، بعد حين، أحد العناصر الذين استمعوا إليه، معلناً عن توبته وعودته إلى حضن الوطن ومؤسّساته، بعد أن عرف أن جماعته تمول خارجياً، وتأثر بكلام أيمن رضا في مشهد لا تفهم قدماء من رأس مخرجه.

المقولات الخالدة

تدور معظم قصص هذه الأعمال حول ما يسمّى بـ«الأزمة»، ونتائجها. وكذلك تفعل حواراتها حين يتعلق الأمر بأيّ ذكر للثورة. ففي مسلسل «امرأة من رما»، للمخرج الشبيح -حسب تصريحه- نجدت أنزور، يصبح الثوار لبيبين يشاهدون بشكل مستمر، فتاوى تجيز الذبح ونكاح الجهاد. فيما تردّد سوزان نجم الدين، تعقياً على صوت انفجار قريب: «يضرّبوا هنه وحوريات»، في الوقت الذي يقاتل فيه السنّة

كَمَنْ يَشْهَدُ مَوْتَهُ

ذاكرة الأيام السلمية للثورة

محمد عثمان

تمكن قراءة هذا الكتاب من أكثر من وجه، إذ يجمع بين التجربة الشخصية والتحليل وحتى الشعر. ولكن قراءته كشهادة على الشهور القليلة الأولى للثورة ربما كانت الأغنى، وهو الذي صدر ضمن سلسلة «شهادات سورية»، الكتاب رقم 4، عام 2014.

برغبته المرضية الشخصية لزيادة عذاب المعتقلين، فيعمل فيهم الضرب الحاقداً أثناء خروجهم إلى الحمامات، دون أوامر ولا سبب سوى العفن المترسب في قاع هذه الأجهزة القاتلة للضمير. كما يُعيدنا المؤلف إلى أجواء اضطراب وتجاذب الاعتقالات السورية الأولى أثناء الثورة، بين الأهل الذين يميلون إلى عدم نشر أي خبر يتعلق بأبنائهم الموقوفين، خوفاً عليهم، وتسهيلاً لعمل مساعيهم الخاصة للإفراج عن هؤلاء الأبناء، وبين رغبة الأصدقاء في أداء ما يرون أنه واجبههم تجاه الموقوف، بنشر الخبر، وتحويل قضيته إلى قضية رأي عام، كي لا يتحول إلى رقم ينسى في الزنازين، وكي يشعر -إن عرف بطريقة ما- أنه ليس وحيداً في محنته. كما حدث مع صاحب هذه الشهادة، إذ استشعر المطالبة بالإفراج عنه حين سأله المحقق: «شويا ديبو، حابب تكون مشهور؟». ثم غمره الفرح حين تأكد من ذلك عبر موقوف جديد من داريا، قرأ المطالبة على صفحة المحامية رزان زيتونة على الفايسبوك. ومن جهة أخرى، أنعش هذا الموقوف الزنزانة حين حمل إليها الأغنية الجديدة الرائجة... «زخ رصاص على الناس العزل... يا حيفا».

تنفتح الحكاية عندما يتلقى مؤلف الكتاب، محمد ديبو، اتصالاً هاتفياً مفاجئاً في السابعة صباحاً، بعد سلسلة من المكالمات الفائتة والرسائل من أقارب وأصدقاء يريدون أن يطمئنوا إلى أنه لا زال على قيد الحياة!

وبعد إجراء الضروري من المكالمات وردود الرسائل يلجأ المؤلف إلى الإنترنت ليعرف أن سبب هذه الهجمة المفاجئة من القلق كان استشهاد شخص يحمل الاسم نفسه إثر قصف لقوات النظام على مدينة دوما بريف دمشق. مما يعيد المؤلف، الذي يطمئن والده صديقه إلى أنه «هلاً عقلاً»، إلى مساهمته في التظاهرات في الأشهر الأولى للثورة واعتقاله بسبب ذلك.

فبعد سنوات وارب فيها علي موقفه المعارض، حرصاً على مشاعر أمه التي ربته وإخوته أيتاماً صغاراً، وكان شعاره خلالها «لن أكون سبباً في تعذيب هذه المرأة، وما على الوطن إلا الانتظار». يتلقى صاحب الشهادة دعوة سرية من أصدقاء له إلى «مظاهرة» ستجري في سوق الحميدية يوم 15 آذار 2011 ودون تفكير كثير يجب بالموافقة. ورغم أنه لم يشارك بالفعل في هذه المظاهرة، التي اضطرت منظموها إلى تغيير مكانها الدقيق المتفق عليه بسبب الانتشار الأمني الكثيف، بينما مؤلفنا ومن دعاه ينتظرون في مكان آخر؛ إلا أنه اعتقل بعد أيام من قبل المخابرات الجوية، بفعل تقرير مخبر استطاع استدراجه كرواية هذه المحاولة!

يُزج المؤلف في إحدى زنازين فرع التحقيق في دمشق، بصحبة ثلاثة آخرين، ليكتشف، بعد أن باح بأطراف من قصته لأحدهم، أن بينهم مخبر نقل الرواية بحرفيتها إلى المحققين الذين واجهوه بها في اليوم التالي. وليُضاف إلى ضيق السجن كابوس هذه الرقابة، ومهمة التحذير السريع لأي موقوف جديد من عدم التفوه بشيء أمام هذا الواسي. في الوقت نفسه الذي يتلقف فيه نزلاء الزنزانة القادمين الجدد ليعرفوا أخبار ما يجري في الخارج، وليطمئنوا، يوماً بعد يوم، ولا سيما في أيام الجمع، التي يكثر فيها عدد الموقوفين؛ إلى أن الاحتجاجات تعم البلاد. وليعلموا أن صرختهم الوجلة والواهنة لم تذهب في واد، وأنهم لن يتعضفوا في الأقبية لسنوات. إذ اضطرت الأجهزة الأمنية، تحت ضغط الأعداد المتكاثرة للمشاركين في الانتفاضة، إلى الإفراج عن أفواج من المعتقلين، بعد توقيعهم على تعهد شكلي بعدم تكرار التظاهر، أملاً في تطويق الوضع، وبالنظر إلى الأعداد الكبيرة من الموقوفين الجدد الذين غصت بهم الفروع.

ويلحظ المؤلف هنا الفرق في التعامل بين عناصر الأمن أنفسهم، بين من تلمح لديهم ملامح من الإنسانية التي يخشون من إظهارها كي لا يُتهموا بالتساهل أو التعاون (لم تكن ظاهرة الانشقاقات عن الجيش أو الأمن قد ظهرت بعد)، وبين من يتطوع

سلسلة شهادات سورية 4

كَمَنْ يَشْهَدُ مَوْتَهُ

محمد ديبو



إعلام الأسد يحتفي بميدالية ذهبية في الرياضة بينما سوريا تحترق

أبيغال فيلدينغ* / فورين بوليسي / 30 حزيران
ترجمة مأمون حليبي

في 29 أيار 2015 حملت الصفحة الرئيسية لموقع الوكالة العربية السورية للأنباء (سانا) العناوين التالية: «ساعة حمص تدق من جديد معلنة عودة الحياة إلى المدينة القديمة»، «الجيش يحبط هجوما إرهابيا في درعا»، «المقداد: نضال سوريا الأسطوري هو نتيجة لإنجازات شعبها»، «سوريا تفوز بالميدالية الذهبية في الوثب العالي في بطولة موسكو المفتوحة». لكن الواقع كان أقل وردية بكثير مما كانت توحى به هذه العناوين. ففي الأسابيع السابقة استولى المتمردون على مركز محافظة إدلب، وهبطت قيمة الليرة بشكل سريع ومفاجئ.

في وقت راحة ليستمتعوا ببطولات الدراجات. فما هو نوع لعبة الإشارات المعقدة التي ينخرط فيها النظام وناسه؟ لكي نبدأ بفهم استخدام الأسد للدعاية التعبوية، علينا أن نعود إلى حكم والده، حافظ، الذي استولى على السلطة واستطاع، عن طريق الأيديولوجيا البعثية العلمانية والقمع الشديد، أن يشكل الدولة على صورته، ولا تنفصل عن شخصه، الذي كان يُقدّم على أنه موجود في كل مكان. كان المديح المبالغ فيه للقائد كاسحا، وجزءا انتهاكه كبيرا. كان حافظ سيء الصيت لقمعه الوحشي لانتفاضة الإخوان المسلمين، عام 1982، حين قُتل آلاف الناس وسوّيت مدينة حماة بالأرض، لكن الخوف الذي ولده امتد متجاوزا الحدث، عن طريق منظومة بوليسية شجعت المواطنين على الإبلاغ عن سلوك بعضهم لأجهزة المخابرات. «من اللحظة التي تغادر فيها بيتك تسأل ماذا يريد النظام؟»، هذا ما قاله أحد السوريين لليزا وادين، أستاذة العلوم السياسية في جامعة شيكاغو**. «يكرر الناس ما يقوله النظام، ويصبح التنافس حول من يستطيع أن يمتدح الحكومة أكثر. الجميع يعرف من يعرف اللغة أفضل ومن هو على استعداد لاستعمالها. أولئك الذين يحترمون أنفسهم يقولون أقل». وكما تلاحظ وادين، الادعاءات أن هذه اللغة كانت تطلب من الناس أن يلتزموا بها سخيصة بكل وضوح؛ مثلاً، أن حافظ كان الصيدلاني الأول في البلاد. لم يكن النظام مهتماً بخلق قناعة حقيقية، فقط المظهر الخارجي هو المهم. بعد التفكير المعمق في سبب إصرار النظام على متلازمات الولاء الخارجية تستنتج وادين أن الزيف نفسه هو الهدف: "تكمّن قوة النظام في قدرته على فرض هذه التلفزيونات الوطنية،

للوهلة الأولى، تبدو عناوين سانا شبيهةً بالسلوك النمطي لحكومة استبدادية تحاول أن تخدع الناس بالاعتقاد أن النظام أقوى وأكثر قدرة مما هو عليه فعليا. لكن، لدى التمحيص، لا يبدو هذا الأمر دافعا كافيا. فالوصول متاح إلى مجموعة من مواقع الإنترنت والقنوات الفضائية التي تقدّم صورة تختلف عما تقدّمه سانا، عدا عن أن السوريون يعرفون أن الأمور ليست على ما يرام من ناحية المعارك، عندما لا يعود جنود مدنهاهم وقراهم إلى بيوتهم. وبشار الأسد نفسه اعترف، في حديث علني في أيار الماضي، بمشكلات عسكرية. إن كان الإقناع أو التعبيّة العقائدية ليسا الهدف، فما هي وظيفة هذه الأخبار الرسمية المحبوكة بطريقة خداعة؟ بعد أربع سنوات من حرب استنزاف مدمرة، يستحيل أن يوجد أناسٌ كثير يتلفسون فيجدون سوريا التي تتكلم عنها الأخبار الرسمية؛ حيث الجيش «يحبط مخططات الإرهابيين والمواطنين



الهدف، فما هي وظيفة هذه الأخبار الرسمية المحبوكة بطريقة خداعة؟ بعد أربع سنوات من حرب استنزاف مدمرة، يستحيل أن يوجد أناسٌ كثير يتلفسون فيجدون سوريا التي تتكلم عنها الأخبار الرسمية؛ حيث الجيش «يحبط مخططات الإرهابيين والمواطنين



وزير إعلام الأسد عمران الزعبي - وكالة سانا

أشاعوا مزاعم كاذبة لتقوية روايتهم. ساعد هذا المنطق النظام دولياً أيضاً. في مقابلات مع وسائل الإعلام العالمية، أنكر الأسد بشكل قاطع استعمال الأسلحة الكيماوية أو البراميل ضد شعبه. وبينما تواصلت الحرب الأهلية في البلاد، كانت أولوية النظام محلياً إقناع قواته بالقتال. هناك اعتقاد أن الجيش قد تناقص إلى النصف، مما جعل النظام يعتمد على قواته اللانظامية بشكل كبير، لا سيما من الجماعة العلوية، المُطعمَةً بمقاتلين شيعية من لبنان والعراق. تقليدياً، كان النظام يشجب الخطاب الطائفي في قنواته الرسمية، ومع ذلك يعتمد جنوده على حس الجماعة وعلى إدراكهم لتهديد مشترك تخلقه الهوية الطائفية. وحتى عندما كان النظام يعهد بالوظائف الأمنية الحيوية للدولة إلى ميليشيات طائفية، بقيت كلمات «سني» و«علوي» محرمة في وسائل الإعلام. فائدة هذا النوع من التغطية هو أنه يدل على الحضور المستمر للدولة. قد يكون الخوف من أن يُقتلوا على أيدي المسلحين الإسلاميين هو ما يدفع العلويين إلى القتال، لكنهم في حاجة إلى أن يشعروا أن ما يقاتلون من أجله هو الدولة وليس أمير حرب طائفيًا. على المدى الطويل لا يمكن لحرب طائفية إلا أن تنتهي نهايةً سيئةً للأقلية. قصص وكالة سانا المملة تحجب حطام المدن بخطاب مألوف عن الدولة البعثية، وضمن الخيارات الموجودة في الشرق الأوسط الحالي ربما ليس من المدهش أن بعض الناس يواصلون التصرف «كما لو» أنهم يؤمنون بهذا الخطاب. أحياناً، حتى دولة خيالية يتم تفضيلها على البديل.

منذ البداية، كان كلا الطرفين منخرطاً في حرب التصورات. أرادت المعارضة أن تخلق الانطباع أن الزخم كان معها وأن النظام كان يعاود اللجوء إلى البربرية، في حين كان النظام في حاجة إلى أن يجعل الناس يعتقدون أن الاضطرابات قد تم احتواؤها وأن رده كان متناسباً ومسؤولاً. ولكي يفرض روايته للأحداث، لم يكن بوسع الأسد أن يمنع الناس من مشاهدة فيديوهات الاحتجاجات وعمليات القمع التي كان يسجلها الناشطون، فالقنوات الفضائية في كل مكان. في حين أنه لم يكن بمقدوره حذف هذه الفيديوهات، كان يستطيع أن يجعل الناس يشككون في مصداقية المادة التي تقدمها المعارضة. ولإنجاز هذا الأمر، صنفت وسائل الإعلام الموالية للأسد القنوات الإخبارية الأجنبية كجزء من «المؤامرة» ضد النظام. في أيلول 2011 زعمت قناة الدنيا أن قطر قد بنت نسخاً طبق الأصل للساحات الرئيسية في المدن السورية لكي تنظم الاحتجاجات فيها، ويتم تصويرها من قبل مخرجين فرنسيين وأميركيين وإسرائيليين. وكما شرح صحفي سوري في الفايننشال تايمز، الهدف من هكذا مزاعم غريبة لم يكن إقناع الناس بصحتها بقدر ما كان إفساد المشهد العربي. «الهدف هو تشويش الناس. ليس من الضروري حتى أن يقتنعوا بذلك، طالما أن هذا يجعلهم مشوشين وغير متأكدين مما يجري فعلياً». وساعدت إستراتيجية التشويش الأسدية واقعة أن القنوات الفضائية على امتداد العالم العربي كانت تملكها نخب من أقطار الخليج ملتزمة صراحةً بالإطاحة بنظامه. وساعد أيضاً أن عناصر من المعارضة قد

وعلى جعل الناس يقولون ويفعلون ما كانوا سيرفضون فعله وقوله لولا هذه التفهيمات. هذه الطاعة تجعل الناس متورطين، وبالتالي تجعل من الصعب بالنسبة إلى المشاركين أن يعتبروا أنفسهم ضحايا لنزوات الدولة.

عندما جاء بشار إلى السلطة بعد موت والده، اعتبره الناس نسمةً من الهواء النقي. فهو قد ساعد على إدخال الإنترنت وقاد بعض الإصلاحات المحدودة، لكن الملموسة. بدا ذي شعبية، وكانت تجري تحيته بتصفيق متحمس حيثما ذهب، مع أنه من الصعب الحكم على مدى عمق ذلك. الطبقات المدنية المتوسطة، على الأقل، كانت تشعر أنه يمثل طموحهم بالنسبة إلى سوريا. إحدى النسوة، وكانت تتبضع في أحد مولات دمشق، هزت رأسها متعجبة عندما تذكرت غياب ضروريات العيش في الاقتصاد الذي سبق الإصلاح: «لم يكن ثمة وجود لحفاضات الأطفال ولا للحليب أو الموز. كان لدينا فقط برتقال وتفاح!».

ولكن، بالرغم من الراحة الطفيفة، فإن المنطق الذي كان يدعم حجة النظام كان نفسه، وعندما انتهكت قواعد لعبته رد بعنف غير متناسب. وعندما اعتقل فتية درعا وعذبهم اندلعت الاحتجاجات رداً على ذلك وامتدت بسرعة إلى أجزاء أخرى من البلاد. وبشكل متزايد، ركز المحتجون على رموز النظام. وفي فيديو بعد آخر تم تحميلها على اليوتيوب، كانت صور بشار تُحرق، وتماتيل حافظ تُحطم في حملة تطهير بصرية. مضى أسبوعان قبل أن يدلي الأسد بتصريح علني. كان المتفائلون يأملون أن هذا الرئيس الشاب، الذي تعلم في الغرب، سيقدم تنازلات تاريخية، ورؤية شاملة تنقذ البلاد. لكنه، عندما حان الوقت، كرر أمام البرلمان حديثه المنمق المألوف عن الإصلاح وعن أن سوريا موضوع مؤامرة دولية، مدعياً أن الاحتجاجات تم التأثير والسيطرة عليها لإضعاف دور سوريا كدولة «مقاومة». صفق أعضاء البرلمان له، لكن حتى السوريين الذين لا ينتمون إلى المعارضة صدموا من قلة ما قدمه الخطاب. وباستثناء بعض التلميحات الهادفة إلى التهدئة، لم يستثمر الأسد الكثير من الرأسمال السياسي في محاولة كسب الأغلبية السنية الريفية. ويبدو أن خطابه كانت تهدف بشكل رئيسي إلى إنعاش مؤيديه: العلويين؛ الشيعة؛ المسيحيين؛ الطبقات المدنية المتوسطة.

* صحيفة مقيمة في لندن. كانت مراسلة للفايننشال تايمز في بيروت.

** صدرت ترجمة كتاب وادين بالعربية بعنوان «السيطرة الغامضة»، عن دار رياض الرئيس، 2010.

محمد ناصيف خير بك آخر معالم دولة الأسد الأب

عمر الباشا

دقائق قليلةً تفصل بين مدرسة الحرية (اللاييك سابقاً، والشهيد باسل الأسد لاحقاً) في أول شارع بغداد الدمشقي وبين «فرع الخطيب» في آخره. أليف أبناء حافظ الأسد هذه المسافة جيداً، فهي طريقهم المتكرر من مدرستهم الرسمية إلى معهدهم الخاص في مكتب العم أبو وائل، كأبناء رئيس لا يجد الوقت الكافي لرعاية شؤونهم الشخصية ولا لتدريبتهم على الحكم.

لم يكن محمد ناصيف موضع ثقة الأسد في أمن عاصمته وعموم البلاد فحسب، بل أيضاً في إعداد أبنائه الذكور، ولا سيما باسل وبشار وماهر، ولاحقاً ابنته بشرى بعد أن عشقت أصف شوكت، الضابط المتزوج الذي يكبرها بسنوات، والمشكوك في علويته. فكانت على ناصيف مهمة مراقبة الابنة الشكسة والاطمئنان إلى انتهاء علاقتها تلك، التي أزعجت الأب وأغضبت ابنه البكر، قبل أن يقضي الأخير في حادث السيارة الشهير، ويستسلم الأول لقضاء الله ولاختيار ابنته.

والحق أن مصرع باسل لم يُصَب والده البيولوجي فحسب، بل عزابه كذلك، الذي وجد نفسه مضطراً إلى إعادة دروس

التوريث ذاتها لبشار، بعد أن كان قد تلقى ما يلزمه فقط كأحد أفراد الأسرة الحاكمة. ولكن المعلم، الذي لا يملك الكثير من الصبر في العادة، لم يكن ليتكأ إطلاقاً عن أي شيء يصب في مصلحة حافظ الأسد. فقد كان ينظر إليه كرب فعلي، وهو الأمر الذي طالما أجبر الموقوفين لديه على تكراره. فمن فرعه انطلقت سلوكيات إجبار المعتقلين على السجود لصورة الأسد، قبل أن تجد طريقها إلى وسائل الإعلام، إبان الثورة، بعقود.

ولد محمد ناصيف في قرية اللقبة التابعة لمدينة مصياف. دخل دار المعلمين بعد حصوله على الشهادة الإعدادية (البروفيه). قضى خدمته العسكرية في كلية ضباط الاحتياط أصولاً. وحالماً أنهاها وسافر إلى القامشلي ليصبح معلماً انقلب رفاقه البعثيون على الحكم في دمشق، واستدعي، مثل مئات آخرين من الحزبيين أو الأقرباء أو المواليين، إلى العاصمة ليستد إحدى الثغرات التي نشأت عقب تسريح مئات الضباط الانفصاليين أو الشوام، ثم الناصريين. حاز ناصيف على رتبة ملازم فور التحاقه الثاني بالجيش كضابط احتياط، وهو التصنيف الرسمي الذي ظل يشملته طوال حياته، رغم ترقيه في السلك العسكري إلى رتبة لواء.

ولكن ما أهمية ذلك لرجل لم يأبه يوماً للتراتبية الشكلية، وخاصة بعد أن تولى رئاسة فرع الأمن الداخلي (الفرع 251) بإدارة المخابرات العامة (أمن الدولة)؟ وهو الفرع الأكثر أهمية في هذا الجهاز على الإطلاق، إذ إن مسؤوليته المباشرة هي أمن النظام وأمن العاصمة، ولرئيسه اتصال هاتفي مباشر ومفتوح برئيس الجمهورية. وعبر السنوات، والمكالمات التي أصبحت يومية مع الأسد، احتل ناصيف موقع الشريك الفعلي، ولم يعد يعلوه في سورية فعلياً سوى الأسد نفسه. خدم ناصيف في عهد ستّة مدراء لإدارة المخابرات

كان أقوى منهم جميعاً، وبالتدريج. من فرعه الذي تعامل معه كإقطاع خاصٍ مطلق الصلاحيات، وأقام فيه لأكثر من عشرين عاماً في غرفة بجوار المكتب، كان يدير أكثر الملفات حساسية، بوحشية لا حدود لها في كثير من الأحيان، وبتوسع غير مسبوق في تجنيد «المندوبين» (المخبرين) في كل مكان.

ينسب العارفون بتاريخ هذه الإدارة إلى محمد ناصيف (ورفعت الأسد، من جهة أخرى) تحويلها من جهاز أمن يغلب عليه الموظفون المدنيون المنكبون على الأعمال المكتبية إلى جهاز قمعي طائفي يمسك به عسكريون. والحق أن ناصيف لم يخف شيئاً من إيمانه الصوي بالمذهب العلوي، واعتقاده بولاية أجداده من شيوخ المذهب، وتبرّكه بزيارة المراقد والمزارات. كما لم يخف ميله إلى خشونة العسكر واستعراض السلاح في الشوارع مقابل رهاقة المدنيين. ولا عداوة المطلق للإخوان المسلمين، الذي تأسس على ذاكرة دراسته الحموية، ولبعثيي العراق، الذين انتمى بالأصل إلى خصومهم من أتباع أكرم الحوراني في الحزب، ولا حتى لبعثيي 23 شباط، الذين وقف ضدّهم منذ 1970، ولا للشيوعيين الذين كانت تستفزّه رطانتهم الثقافية، وهو القارئ فقط للتاريخ وللسير الذاتية للسياسيين، والذي يعد «كفاحي» لأدولف هتلر كتابه المفضل. لم يخف عداؤه لكل هؤلاء، بداة لفظية شرسة وتكديلاً إجرامياً كلما تطلب أمر الحفاظ على حكم الأسد ذلك.

تعززت ثقة الأسد بناصيف مع تراكم التجارب الحاسمة والمفصلية. ولكنه ظل غير مرتاح تماماً إلى الوجود الضروري لهذا الرجل الذي يعرف الكثير. وبالمقابل، كانت إحدى متع ناصيف، فضلاً عن التدخين الشره والكحول ومعاشرة النساء، هي أن يترك للأسد، بين الفينة والأخرى، ثغرة في المعلومات ليستكملها من مصادر أخرى، لأنه يعرف تماماً أن الأسد يحب أن يؤكد أنه هو الرئيس بالفعل!





كيف يُنعى شيخ من زمن حافظ؟



وإلى
أبو وائل

عمله لسنواتٍ طويلةٍ كذراعٍ أمنيةٍ موثوقةٍ لحافظ الأسد، وإدارته للفرع الداخلي 251 المسؤول عن تغييب آلاف السوريين؛ فإن المقارنة التي أوردتها الصفحة بين ناصيف «التواضع» ونمط الشبيحة المغترين والفاستدين الحاليين لا تشير إلى حينٍ لعهد ونموذج ضباط حافظ وحسب؛ وإنما تشير إلى الرغبة في العودة إلى الإجماع المنظم ضمن «مؤسّسات الدولة» (حسم أحداث الإخوان)، لا ما هو حاصل الآن من رداءة في التشبيح العشوائي في زمن بشار، وسرقة وتعامل مع من يوصفون بالأعداء الذين يخربون البلد، ويسقط في سبيل التصدي لمؤامرتهم المزعومة قتلى من نفس الشبيحة الذين تُلعق بساطيرهم ليل نهار.

وبالطريقة ذاتها، خرج مرؤوس ناصيف ووريثه في إدارة فرع المخابرات ليبيكه، لكن بشكل أكثر درامية ومعاشية لبنية «المؤسّسة» التشبيحية التي ينتميان إليها، والتي لا تحتفي إلا بالولاء الشخصي لحافظ وابنه. ليقول بهجت سليمان: «أبو وائل هو بئراس في خدمة شعبه ووطنه وقائده الأسد الأول والأسد الثاني...». وليستمر المؤيدون بالتشبيح.

«سيقول البعض لماذا الاهتمام الشعبي به؟؟؟
والجواب: هو آخر رجالات الدولة التي بناها الرئيس الراحل حافظ الأسد، وممن حافظوا على دورهم ومشورتهم وأخلاقهم وتواضعهم بعد رحيله. كان يزور مدينة مصياف بدون أي مرافقة أو مواكب، ولم يؤذ أي شخص باستغلال نفوذه (كحالة المسؤول التقليدي في سوريا). حالياً بتشوف واحد محكوم مسبقاً ماشي وراه دوشكا وأمامه 20 شبيح لإهانة أهالي مصياف وغيرها من مناطق (حاضنة الشهداء ومصابي الجيش) وبتشوف قائد مربى سكسوكة!! سارق وقود وغاز مصياف لبيعه لمسلحي جبل الزاوية مع نفس شاكلة المرافقة والترفيق. اللواء المرحوم مواليد اللقبة ريف مصياف، دخل الكلية الحربية، استلم وهو بعمر الثلاثين أهم الأفرع الأمنية وكان من رجال الدولة والثقة لدى الرئيس حافظ الأسد وله علاقات هامة مع الإيرانيين والأكراد وملفاتهم وله الدور الأساسي في حسم أحداث الإخوان في أحداث 1983». وبغض النظر عن المزايا الإجرامية التي تمتع بها الفقيه، بحكم

في سابقة تعدّ الأولى من نوعها، نعت ما تسمّى برئاسة الجمهورية العربية السورية «اللواء المتقاعد الرفيق محمد ناصيف خير بك، معاون نائب رئيس الجمهورية، الذي انتقل إلى جوار ربّه صباح الأحد 28 حزيران 2015 إثر مرض عضال»، بحسب بيان نشرته وسائل إعلام النظام.

وأثار هذا الاهتمام «الرسمي» الكثير من التساؤلات بين صفوف المؤيدين، إذ لم يسبق لتلك الرئاسة أن أقدمت على مثل هذا التقدير الشكلي مع مسؤولي النظام الصرعي في ما يعرف بتفجير خلية الأزمة، ولا حتى في حالة المسؤولين الأمنيين الكبار، كجامع جامع ورستم غزالت. لتبدأ بعد ذلك عاصفة من النعوات التشبيحية على الصفحات والمواقع، شرحاً لـ «مناقب الفقيه» وضخامة الفاجعة التي مني النظام ومؤيدوه بها، مبررين العناية بذكره خاصةً، دوناً عن غيره من رجالات هذا العهد، من خلال نشر صور حصرية له، والإجابة عن تساؤلات الشبيحة الصغار الذين لم يعايشوه، كما فعلت شبكة أخبار مصياف الأسد، التي يتحدّر ناصيف من إحدى قراها:



مجلة عين المدينة نصف شهرية سياسية متنوعة مُستقلة

3ayn-almadina.com
info@3ayn-almadina.com

@3aynAlmadina

/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

شهداء الإعلام في حزيران



محمد الأصفر



عبد الله الحسامي



محمد الشيخ أبو الفضل



محمد نور الحريري



عبد الله القاسم



عبد الغني الحجي



عمر المسالمة